

التبيان في تفسير القرآن

(313) قبول شهاداتهم، لأنها لا ترجع إلا إلى دعوى مجردة. ولكن المذهب مع هذه الحال أبعد عن الصواب، لأنهم لا يجدون من يشهد لهم. وهو قول الحسن. وقوله " ولاتتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا " نهى من الله لنبيه والمراد به أمته أن يعتقدوا مذهب من اعتقد مذهبه هو، ويمكن اتخاذ المذهب هو من وجوه. أحدها - هو من سبق إليه فقلده فيه. والثاني - أن يدخل عليه شبهة فيتخيله بصورة الصحيح مع أن في عقله ما يمنع منه. ومنها - أن يقطع النظر دون غايته، للمشقة التي تلحقه فيعتقد المذهب الفاسد. ومنها - أن يكون نشأ على شيء وألفه واعتاده فيصعب عليه مفارقتها. وكل ذلك متميز مما استحسنته بعقله. وإنما قال " الذين كذبوا بآياتنا " والذين لا يؤمنون بالآخرة " وكلهم كفار ليفصل وجوه كفرهم، لأن منه ما يكون مع الإقرار بالآخرة كحال أهل الكتاب، ومنه ما يكون مع الإنكار كحال عبدة الأوثان. وقوله " وهم بربهم يعدلون " معناه يعدلون به عن الحق لاتخاذهم مع الله شركاء وإضافتهم إليه ما لم يقله وافترائهم عليه. وفي الآية دلالة على فساد التقليد لأنه لو كان التقليد جائزا لما طالب الله الكفار بالحجة على صحة مذهبهم، ولما كان عجزهم عن الإتيان بهادلالة على بطلان ما ذهبوا إليه. قوله تعالى: قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولاتقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن